الصاعقة الثانية والثمانون: لا الحُلمُ جادَ بهِ وَلا بِمثالِهِ(*)

لا الحُلمُ جادَ بِهِ وَلا بِمثالِهِ ... لَوْلا اذّكارُ وداعِهِ وزِيالِهِ(١)

إنّ المُعيدَ لَنا المَنامُ خيالَهُ ... كانَت إعادَتُهُ خَيالَ خيالِهِ

بِتنا يُناوِلُنا المُدامَ بكَفِّهِ ... مَنْ لَيسَ يخطُرُ أنْ نَراهُ ببالِهِ

نجني الكواكبَ من قَلائدِ جيدِهِ ... ونَنالُ عينَ الشمسِ من خَلخالِهِ

بنتُم عَنِ العينِ القَريحةِ فيكُمُ ... وسكَنتُمُ طَيّ الفُؤادِ الوالِهِ

فَدَنَوتُمُ ودُنُوُّكُم من عِندِهِ ... وَسَمَحتُمُ وسَماحُكُم من مالِهِ

إنّي لأَبغضُ طَيفَ مَن أحبَبتُهُ ... إذ كانَ يَهجرنا زَمانَ وِصالِهِ

مِثلُ الصبابَةِ والكآبةِ والأسى ... فارَقتُهُ فَحَدَثنَ من تَرحالِهِ

وقَد استَقدتُ من الهَوى وأذَقتُهُ ... من عِفتي ما ذُقتُ مِنْ بَلبالِهِ(٢)

وَلَقد ذَخَرتُ لِكُلّ أرضٍ ساعَةً ... تَستَجفِلُ الضرغامَ عن أشبالِهِ

تَلقى الوُجوهُ بِها الوُجوهَ وبينَها ... ضَربٌ يَجولُ المَوْتُ في أجْوالِهِ

ولقد خبأتُ مِنَ الكَلامِ سُلافَهُ ... وسَقيتُ مَن نادَمتُ من جِريالِهِ(٣)

وإذا تَعَثَّرَتِ الجِيادُ بسَهلِهِ ... بَرَّزتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِحِبالِهِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة.

(١) الزيال: المفارقة.

(٢) البلبال: شدّة الهمّ.

(٣) السلاف: أجود الخمر. الجريال: دون السلاف في الجودة.

وحَكَمتُ في البَلدِ العَراء بناعجٍ ... مُعتاده مُجتابه مُغتاله[١]

يَمشي كَما عَدَتِ المَطِيّ وَراءَهُ ... ويَزيدُ وَقتَ جَمامِها وكَلاله

وتُراعُ غَيرَ مُعَقَّلاتٍ حَولَهُ ... فَيَقُوتُها مُتَجَفلًا بعِقاله

فَغَدا النّجاحُ وراحَ في أخفافِه ... وَغدا المِراحُ وراحَ في أرقالِه[٢]

وشركتُ دَولَةَ هاشمٍ في سَيفِها ... وشققتُ خيسَ المُلكِ عن رئباله[٣]

عن ذا الذي حُرِمَ اللّيوثُ كمالَه ... يُنسي الفريسَةَ خَوفَهُ بجماله

وتَواضَعُ الأُمَراءُ حَولَ سَريرِه ... وتُري المَحَبّةَ وهيَ من آكاله[٤]

ويُميتُ قَبلَ قِتالِه ويَبَشّ قَبْـ ... ـلَ نَوالِه ويُنيلَ قَبْلَ سُؤاله

إنّ الرّياحَ إذا عَمَدْنَ لناظرٍ ... أغناهُ مُقبلُها عَنِ استعجاله

أعطى ومَنَّ على المُلُوكِ بعَفوِه ... حتى تساوى النّاسُ في إفضاله

وإذا غَنُوا بعَطائِه عَنْ هَزّه ... والى فأغنى أن يَقُولوا وَالِه

وكأنّما جَدواهُ مِنْ إكثاره ... حَسَد لسائِله على إقلاله

غَرَبَ النّجومُ فغُرنَ دونَ همومه ... وطَلَعنَ حينَ طَلَعنَ دونَ مَناله

واللهُ يُسعِدُ كلّ يومٍ جَدَّهُ ... ويزيدُ مِنْ أعدائِه في آله

---

(١) الناعج: الأبيض الكريم من الإبل.

(٢) الإرقال: الإسراع.

(٣) الرئبال: الأسد. الخيس: أجمّته.

(٤) الآكال: الأرزاق.

لَو لَم تكُن تَجري على أسيافِهِ ... مُهَجاتُهُم لجَرَت على إقبالِهِ

لم يَترُكُوا أثَرًا عَلَيه منَ الوَغى ... إلاّ دِماءَهُمُ عَلى سِربالِهِ

فَلمِثله جَمَعَ العَرَمرَمُ نَفسَهُ ... وبِمِثلِهِ انفَصَمَت عُرى أقتالِهِ

يا أيّها القَمَرُ المُباهِي وَجهَهُ ... لا تُكذَبَنَّ فلستَ من أشكالِهِ

وإذا طَمى البحرُ المُحيطُ فقُل لَهُ ... دَعْ ذا فإنَّكَ عاجِزٌ عَنْ حالِهِ

وَهبَ الذي وَرِثَ الجدودَ وما أرى ... أُفعالَهُمْ لابنٍ بِلا أفعالِهِ

حتى إذا فني التُّراثُ سِوى العُلى ... قَصَدَ العُداةَ من القَنا بطوالِهِ

وبأرعَنٍ لَبسَ العَجاجَ إليهِمِ ... فَوقَ الحَديدِ وَجَرَّ من أذيالِهِ[1]

فكأنّما قَذيَ النّهارُ بنَقعِهِ ... أو غَضّ عَنهُ الطَّرفَ من إجلالِهِ

الجَيشُ جيشُكَ غيرَ أنَّكَ جيشُهُ ... في قَلبِهِ وَيَمينِهِ وشِمالِهِ

تَردُ الطّعانَ المُرّ عَنْ فُرسانِهِ ... وتُنازِلُ الأبطالَ عَن أبطالِهِ

كُلٌّ يُريدُ رِجالَهُ لحَياتِهِ ... يا مَن يُريدُ حَياتَهُ لِرِجالِهِ

دونَ الحَلاوَةِ في الزّمانِ مَرارَةٌ ... لا تُخطَطى إلاّ على أهوالِهِ

فلذاك جاوزها عليٌّ وحدهُ ... وسعى بُمنصلِهِ إلى آمالِهِ

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب.